* السلطان عبدالحميد الخليفة العثماني وحفاظه على فلسطين رغم إغراء اليهودية:

لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبدالحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لتثمين دور السلطان عبدالحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة والتي استغلها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له بإسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبدالحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبدالحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

❑ وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار مع أخيه فؤاد الولي ـ قبل وفاته ـ في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، إمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبدالحميد الثاني فاستقبلهم

(١) الشيخ طه الولي، عالم لبناني فاضل، يعمل أمينًا للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان ـ رحمه الله ـ أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بلبنان.

تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ ـ مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢ ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣ ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفيًا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

١ ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢ ـ بناء أسطول لحماية الدولة.

٣ ـ تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛ لإنعاش مالية الدولة مواردها مقابل:

١ ـ إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢ ـ السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

١ ـ إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢ ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر رضي الله عنه ولست مستعدًا أن أتحمل تاريخيًا وصمة بيع الأراضي المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

٣ ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

❑ ويستمر الشيخ علي شيخ العرب[١] في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

❑ ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فأطاحوا بعبدالحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»[٢] غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية»[٣] لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبدالحميد الثاني، لانتزاع

---

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبدالحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ «الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارس الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد بعد أن تم تدبير مجزرة كبرى في إستانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبدالحميد والانقضاض على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين والماسونيين والانكليز وقد وردت ـ اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين[١] .

وقد بعث السلطان عبدالحميد برسالة إلى شيخه محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو[٢] .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

خطاب عبدالحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات.

الحمد للّه رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة[٣] ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجيًا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي! إني بتوفيق اللّه تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية[٤] ليلاً

(١) انظر مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني ـ ترجمة د. محمد حرب عبدالحميد.

(٢) يا هو: الذكر بالاسم المفرد «اللّه اللّه» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضمر هو نوع من الهوس.

(٣) مفيض الروح والحياة هو اللّه سبحانه وتعالى.. وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك ـ رحمه اللّه ـ وعافاه.. وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية.. سقطت لما كان المستشار الدّيني لها محمد أبو الهدي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام.. لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها.

(٤) الأوراد الشاذلية بما فيها من بدع واستغاثة وطلب المدد من غير اللّه. وأنت خليفة المسلمين رحمك اللّه وغفر لك.

ونهارًا، وأعرض أنني ما زلت محتاجًا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة. بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

❑ وأخيرًا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضًا».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على اللّه المتعالي، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علمًا، وتحيطوا جماعتكم بذلك علمًا.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

٢٢ أيلول ١٣٢٩ خادم المسلمين

عبدالحميد بن عبدالمجيد

❑ وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجّه مذكرة إلى سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعروف جيدًا أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة.. ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوربا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيدًا لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيدًا جدًّا للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وأفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعًا من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حملة بريطانيا، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأمريكي في الأستانة ليبذل نفوذه ومساعيه لدى السلطان عبدالحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصًا بعد قرار الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٨٨٢م)، وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبدالحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية السرِّية، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبدالحميد ثبت على رفضه القاطع.

وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[1].

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٢٢م) من

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير ـ «جهاد شعب فلسطين» ـ رسالة دكتوراه بالأزهر ـ دار الفتح ـ ببيروت.

إيصال ٢٠ مستعمرًا يهوديًا إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعًا ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعًا ومرضًا.

❑ وقيل أيضًا أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

❑ وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزًا، وتستطيع أن تلعب دورًا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

❑ وعندما أرسل السلطان عبدالحميد الثاني مندوبًا سريًا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبدالحميد رفض العرض.

❑ وقد أرسل «المسيو كريسبي»[1] مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسبي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م (ص٢٩).

الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) قال كريسبي: «كان الدكتور هرتزل[١] في ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبي في جريدة «نيوفري» في فيينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبدالحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

❑ فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الأستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزراب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصيًا بقضية الدكتور هرتزل وخصوصًا أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية.

---

(١) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوادبست (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبدالحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرضًا بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

❑ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاة «آحاد هاعام» (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ ـ ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعًا يتفقون على فكرة الاستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

❑ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين ـ الفلسطينين ـ عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا ـ فلسطين ـ بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترح إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وأما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

❑ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل»

الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني ـ قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية ـ وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضًا بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كايميت» تنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي[1].

---

(١) لم يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم انفضاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيتها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأمريكي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائيًا.

وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درسًا بليغًا أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة ـ التي قد لا تحتملها «إسرائيل» ـ ثانية، مما حدا بهم لبرمجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات، ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والإعلامية، والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية، ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأميركي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونه المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ=

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تشريعًا يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ ـ ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في

= تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعاتها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جرأتهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتدابين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشد إيلامًا أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلّدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى الله وخشية العاقبة!. ولقد أكد الكاتب الأميركي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءًا بحرب (١٩٤٨م)، وحتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليوم، لولا التورط الأميركي التدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معززًا قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بمحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزّت التضحيات.

تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزاً للـ «الخيبة العربية» التي جسدتها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري[1] .

---

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنباً إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الاتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي ـ الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» و«العرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي ـ الإسرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كورييل رسالتين لكل من جمال عبدالناصر، وبن جوريون يدعوانهما فيهما باسم «الحركة الديموقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «وإسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة الملطخة بالدماء، بل إن بين ضحاياهم أبطالاً حقيقيين للسلام، وأولهم: «ناتان يالين ـ مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة =

. . . . . .

= إلى فلسطين عام (١٩٤٨م)! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو في عصابة «شتيرن» أيضًا، أما ثالثهم فهو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد تزوجه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبير شئون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولإذاعة وتليفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبوهين من رفاق هنري كورييل وبينهم:

«كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، و«جوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطمبولي»، و«موريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتا هوبيليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية ـ «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و«أرغون» و«الهاجاناه»، وتلك هي «الحمائم الإسرائيلية» الوديعة!!.

وعلى الجانب العربي مَن عسانا نجد من أبطال السلام.. إن تاريخ «الحوار العربي ـ الإسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب ـ آنذاك ـ الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كورييل الذي جمع فيه وفودًا من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كورييل في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كورييل» و«أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبدالناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبدالناصر عام (١٩٧٠م).

ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءًا بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومرورًا بنعيم خضر، وبعز الدين قلق اللذين اغتيلا في أبريل (١٩٨٣م).

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عرّاب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق =

❑ ونشرت مجلة «المشرق»[1] تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الأستانة أيام عبدالحميد فقال:

«لما كان اللورد «غوش» الإسرائيلي أي: اليهودي سفيراً بالأستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسمونها كما يشاءون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغًا عظيمًا

= اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاوشيسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مراراً في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماخوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، بإجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موشي دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيداً لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموازنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جولدا مائير» والملك عبداللّه التي أدت إلى اغتيال الملك عبداللّه في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصا اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفًا زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية يكفي أن نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود: روتشيلد، ومونتاغو، وشارب وبيكلي، وجونسون.

من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح.

❑ وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام (١٩٠١م)، ولكن عبدالحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروتها بدمائها فليحتفظ اليهود بأموالهم وملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذارًا بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقًا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دومًا»[1].

(١) انظر نص رسالة عبدالحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتزاز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الأستانة، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبدالقادر القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس[1] ؛ لأن تلك الأقطار

---

(١) تكررت هذه الأونة الأخيرة محاولات نسف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نسف العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخراً طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسئولية أمام الله والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «مائير كاهانا» زعيم حركة «كاخ» قد خيّره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء، والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

ما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب واضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشى دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صيحة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطًا في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» - أي: جبهة المؤمنين - ستاراً لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!. =

كانت لحدًا لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بمصالح الدولة والأمة معًا، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

❑ وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبدالحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل عبدالحميد دهاءه السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبدالحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرته في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجيًا لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١ ـ إقامة سلام آمن.

٢ ـ ترتيب جبهتها الداخلية.

٣ ـ تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حاليًا محاصرة بعدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطرًا داخليًا على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

ويقول عبدالرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبدالحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء[1].

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبدالحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الإنكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسميًا ودوليًا.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبدالحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط

---

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فردًا بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.

وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفًا، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفًا.

وليس إقامة وطن قومي في فلسطين ـ أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل ـ بعد فشل محاولته الأخيرة ـ إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

ولم يكن السلطان عبدالحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب اللّه المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافلها الشرقية والغربية، وكانت السبية اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشريعة الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد[1].

---

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الاقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ربيرتو كالفي» قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م). =

ولم يتوقف دور روكزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد مصطفى ابن ضرتها، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سببًا في استعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هربًا من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجزر المتوسط ومواني الشام ومصر، وهم الذين سببوا فيما بعد دمار الدولة العثمانية، فنال الخليفة عبدالحميد الثاني حفيد سليمان القانوني على يد اليهودي قره صو جزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيونية إزاء رفضه لعروض هرتزل، مما حققه البارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قبيل وفاته بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفاء المسلمين، وقد أعطى قره صو أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلمها لثري اسمه «نجيب دراغا» الذي أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس التي أطاحت بحكم عبدالحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبدالحميد قرار عزله، رغم أنه

= وقال بارينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلمًا عن أهم الفضائح السياسية مما سيحدث هزة كبيرة، والمعروف أن بارينزا يرتبط بصدقات مع هنري كيسنجر واليكسندر هيج، وكبار الساسة في أمريكا وإيطاليا، بحكم علاقاته القديمة مع الماسونية والمافيا وفروعهما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية!!.

يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو[1] بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبدالحميد بخمسة ملايين».

□ يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضرته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة التي أُقصي فيها السلطان عبدالحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهدًا كبيرًا في إغراء السلطان عبدالحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرتسل فعرض على «عبدالحميد» مساعدات مالية مُغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منّا ليحتفظ اليهود ببلاييتهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرتسل بعد ذلك على السلطان اقتراحًا بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرتسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء الأخير حضر هرتسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال تهرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس، فقال السلطان ـ وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفى ـ:

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبدالحميد قرار عزلة ويا لسخرية الأيام يهودي!!. وهؤلاء الأربعة هم:
اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

شعرت بالدم يقفز من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: أخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لا يباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهم بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عامًا، فلن أسوّد صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

❑ يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل أن ألطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تزف البشرى بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فسادًا في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبدالحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجيًّا رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة موسوية بتشجيع الدولة الأوربية، فليغادروا إلى أمريكا.

أيضًا سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمسًا وعشرين ألفًا طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبدالحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سرّي

والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصًا آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبدالحميد» قرارًا أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠م بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكان من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمرًا بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبدالحميد.

***

السلطان عبدالحميد واليهود

قال الدكتور عدنان النحوي ـ حفظه اللّه ـ:

سَلامٌ عَلى «عَبْد الحَميد» وَقَدْ مَضَى
عَلى الطِّيْبِ من أَمْجاده العَطِرَاتِ
فَيَا أيُّها «السّلطان» ذِكْرُك عاطِرٌ
عَلى صِدْق مَا جَاهَدْت في حَلَبَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وخُضْتَ سَبيلَه
وَمَا لِنْتَ مِنْ طعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى دِيْنٍ يُوَحِّدُ أُمَّةً
وَيَجْمَعُ نُعْمَى عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى الإِسْلام يُنْكِرُ فُرْقَةً
وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ
يُسَاوِمُكَ الكُفّار مَالاً وَزِيْنَةً
وَزهْرَةَ دُنيا أوْ مَتَاعَ حَيَاةِ
لِتُعْطِيَهُمْ داراً وَرَوْضًا وَمَا حَوَتْ
«فلسْطِيْنُ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أمْضَيتُ عَهْدِي وَبَيْعَتي
مَعَ اللّهِ في سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ
وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمنِ نَفسي بِجَنَّةٍ
عَلَى حُرْقَةِ الأشْوَاقِ واللَّهَفَاتِ
فَكَيْف تُرَاني أَرْتَضِي عَرَضًا بها
إِذَا كَانَت الدُّنْيَا هَشِيْمَ نَبَاتِ

مَضَيْتَ.. وَمَا لانَتْ قَنَاتُك بَيْنَهُمْ
وَمَا وَهَنَتْ نَفْسٌ عَلَى شَهَوَاتِ
هَوَى بِكَ رُكْنٌ... ما هَوَى عَزْمُكَ الذي
بَنَيْتَ بِهِ رُكنًا وصَرْحَ أُباةِ
نَفَوْكَ... وَمَا هانَتْ بذَاكَ مَحَامِدٌ
وآذَوْك... فاستمسكْتَ بَيْنَ عُتَاةِ
عَلَوْت... فَهَانُوا دون صَبْرِك والهُدَى
وَذَلُّوا... وَرُمْتَ المَجْدَ في ذَرَوَاتِ
سَلامٌ عَلَى رُكْنٍ هَوَى فَهَوَت به
مِنَ الدّار أرْكَانٌ ومِنْ عَزَمَاتِ[1]

*** الحركة السنوسية وشهيدها أسد الصحراء عمر المختار:**

تنتمي هذه الحركة إلى السيد محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧م - ١٨٥٩م). وهو من مواليد قرية مستغانم بالجزائر.

أنشأ الزوايا السنوسية التي كانت مراكز دينية ثقافية اجتماعية عسكرية، ودعا إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات ومحاربة الانحلال الاجتماعي والفساد الإداري والسياسي وإحياء الشريعة، والانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية.

أنشا - رحمه الله - الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر، ثم نقل الدعوة إلى واحة جنبوب سنة ١٨٥٦م.

❑ ومن قادة السنوسيين السيد أحمد الشريف السنوسي الذي دخل في

(١) «ملحمه الأقصى» للدكتور عدنان النحوي (ص١٤١) - دار النحوي.